

جامع العلوم والحكم

تقديم هوي النفوس على محبة الله ورسوله وقد وصف الله المشركين بالتباع الهوى في مواضع من كتابه فقال تعالى فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله القصص وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ورسوله ومحبة ما يحبه وكذلك حب الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعاً لما جاء به الرسول A فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عموماً ولهذا كان من علامات وجوده خلاوة الإيمان أن يحب المرء لا يحبه إلا الله وتحريم موالة أعداء الله ومن يكرهه الله عموماً وقد سبق ذلك في مواضع أخر وبهذا يكون الدين كله الله ومن أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصاً في إيمانه الواجب فيجب عليه التوبة من ذلك والرجوع إلى اتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من تقديم محبة الله ورسوله وما فيه رضا الله ورسوله على هوى النفس ومراداتها كلها قال وهيب بن الورد بلغنا والله أعلم أن موسى عليه السلام قال يارب أوصني قال أوصيك بي قالها ثلاثاً حتى قال في الأخرى أوصيك بي أن لا يعرض لك أمر إلا آثرت فيه محبتي على ما سواها فمن لم يفعل ذلك لم أركه ولم أرحمه والمعروف في استعمال الهوى عند الإطلاق أنه الميل إلى خلاف الحق كما في قوله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ص وقال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى النارعات وقد يطلق الهوى بمعنى المحبة والميل مطلقاً فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره وربما استعمل بمعنى محبة الحق خاصة والانقياد إليه وسئل صفوان بن عسال هل سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الهوى فقال سأله أعرابي عن الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم قال المرء مع من أحب ولما نزل قوله تعالى ترجي من تشاء ومنه وتؤوي إليك من تشاء الأحزاب قالت عائشة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أرى ربك إلا يسارع في هواك وقال عمر في قصة المشاورة في أسارى بدر فهوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وهذا الحديث مما جاء في استعمال الهوى بمعنى المحبة المحمودة وقد وقع مثل ذلك في الآثار الإسرائيلية كثيراً وكلام مشايخ القوم وإشاراتهم نظماً ونثراً يكثر في هذا الاستعمال ومما يناسب معنى الحديث من ذلك قول بعضهم إن هواك الذي بقلبي صيرني سامعاً مطيعاً أخذ قلبي وغمض عيني سلبتني النوم والهجوفا فذر فؤادي وخذ رقادي فقال لا بل هما جميعاً الحديث الثاني والأربعون سعة مغفرة الله تعالى عن أنس بن مالك رضي عنه قال سمعت رسول الله A يقول

قال اﷲ تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح